والمعنى انه غمام مطبق اخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء
والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم
انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات
قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السماء كأن اجرام
السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب
او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه
مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال
غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا
في اعلاه ومصبه ~~يكون المطر مكانا~~ وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو
منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا
ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما
لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك
جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء
منكرات لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز
رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم
قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عوّل على بقاء معناه
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في
الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا

في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع
خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب وكان اجتنابها اولى
بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت
فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها
بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه
من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت
اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها
سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق
اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع
وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على
حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذر
الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان
وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد
يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يختطف وعن الحسن يخطف
بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف
من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف
ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر
على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون
اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد

مطلب قلب الكلمة

مطلب يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير

٢٢

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)